Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعملت بما فيها من علم دينى ودنيوى، فالمرأة هى حاضنة الثقافة، وهى عصب السلالة، وزهرة الأرض. وتتزامن هذه النهاية أيضا مع محرقة الكتب العربية، وهى تحويل المعرفة الإنسانية إلى رماد، وطمس معالم مرحلة زاهرة فى التاريخ، مما يصنع توحدا رمزيا بين المدينة والمرأة والكتاب أيضا.

فإذا لاحظنا أن الجزء الأخير من الثلاثية وهو السرحيل يستغرق بدوره قرابة ثمانية وعشرين عاما، إذ يبدأ بوصول علىّ، أحد أحفاد أبى جعفر مهاجرا من غرناطة إلى قرية أخرى من أعمال بلنسية، وينتهى عقب هروبه منها إثر صدور قرار الطرد النهائى للموريسكيين من اسبانيا عام ١٦٠٩م، نستخلص من ذلك أن الجزء الثانى من الثلاثية «مريمة» يمتد إلى قرابة ٥٤ سنة لكن الرواية لاتغطيها كلها، بل تقفز على جزء كبير منها فلا تروى سوى أحداث ٣١ عاما تشغلها حكايات الجدة مريمة مع حفيدها على، ومعنى هذا أن العنصر البشرى من أهل غرناطة الذى كان يحفل به الجزء الأول بشخوصه العديدة قد أخذ يتآكل حتى اقتصر على شخصيتين رئيسيتين فحسب من الأسرة ذاتها فى الجزء الثانى وشخصية واحدة فى الثالث، مما يجعل حركة الشخصيات موازية للبنية الزمنية المتناقصة من ٣٥ عاما إلى ٣١ عاما للجزء الثانى و٢٨ عاما للجزء الثالث. وعندما نستعرض عدد صفحات الثلاثية نفاجأ بأنها تمضى على نفس هذا النسق الهرمى المتناقص من القاعدة إلى الذروة، فالجزء الأول يستغرق ٣٠٥ صفحات، والثانى ١٥٠ صفحة، والثالث ١١٠ من الصفحات ودلالة هذا الترتيب تلتقى بالضرورة مع مصير المملكة فى الانقراض والذوبان، بعد مقتل حوالى مليون شخص من سكانها وتشتت الباقى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط طبقا لأحدث التقديرات العلمية المعاصرة؛ أى أن الرواية وهى تصنع متخيلها التاريخى وتقيم هيكلها الزمنى فى الكتابة تعكس بطرق متعددة الواقع التاريخى الموثق. لكن الرواية لا تقتصر فى مادتها الفنية على هذا المنبع التاريخى، بل تلتفت إلى مادة شعرية بالغة الثراء تتمثل فيما تبلور وترقرق فى الوجدان الشعبى الأندلسى من أساطير عن غرناطة، سواء كان ذلك فى الجانب الإسبانى الذى تكشف عنه قصص الرومانث المنظومة باللغة